# التحليل التداولي للغة (المنهج والتطبيق)

د. ليلة يوسف حميد يوسف (*)

## أولًا: التداولية في الدرس اللغوي الحديث (المصطلح والنشأة):

استعمل مصطلح التداولية مقابلاً عربيًا لمصطلح **pragmatics** منذ السبعينيات من القرن العشرين في مجال اللسانيات المعرفية التي أفادت من كثير من حقول العلم والمعرفة في المجالات الأخرى مثل: علم النفس وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا، وغيرها، مما كان له أكبر الأثر في التطور الذي شهده الدرس اللساني الحديث في مجال التنظير والمنهجة من البنيوية والفكر السوسيري إلى التوزيعية والذرائعية إلي التوليدية التحويلية إلى التحليل النصي الشامل لكل مكونات الخطاب، وقد دخل ضمن التحليل مكونات الخطاب اللغوية وغير اللغوية، وذلك من خلال دراسة اللغة باعتبارها عملية تواصلية نشطة وحية ومتغيرة وفق مقتضيات خطابية مقامية، لا يمكن أن تُفهم اللغة أو تُفسَّر بمعزل عنها.وتدور تعريفات هذا المصطلح حول كيفية استعمال اللغة والعلاقة بينها وبين ومستعمليها، كيف يتكلمونها وكيف يفهمونها في سياقاتها المتنوعة؟

وعن مصطلح التداول يقول طه عبد الرحمن:" فإني وصفت هذا المصطلح (التداول) منذ سنة ١٩٧٠م ، في مقابل **pragmatique** ولو أن التداوليين الغربيين علموا بوجود هذه اللفظة في العربية لفضلوها على لفظة **pragmatism** .... فلفظة التداول تفيد في العلم الحديث الممارسة ... وتفيد أيضًا التفاعل في التخاطب.... ثم بالإضافة إلى ذلك إنها ولفظة (الدلالة) من مادة واحدة، مما يعنى أن التداول سوف يرتبط بالدلالة، فإن هذا هو التبرير العلمي الأول لمصطلح التداول [١]

أما محمد يونس فيرى أن مصطلح **Pragmatics** الذي ترجمه عدد من اللسانيين العرب بالذرائعية حينًا، وبالتداولية أو النفعية حينًا آخر، أنها ترجمات غير موفقة من وجهة نظره؛ لأن هذا المصطلح الذي هو إغريقي

---

(*)الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية – كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي.

١– طه عبد الرحمن : البحث اللساني والسيميائي: الدلاليات والتداوليات. أشكال وحدود ص ٢٩٩.

**الأصل يُفسَّر في الغرب بأنه علم الاستعمال The science of use ويراه متفقًا تمامًا مع مباحث الاستعمال المقابلة لما يُعرف بأصل الوضع عند علماء أصول الفقه والبلاغيين العرب القدماء.[٢] التداول لغة من الأصل دَوَل .... وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل والأمر بيننا بمعنى تعاورناه فعمل هذا مرة وهذا مرة "[٣]**

**والتداولية هي "دراسة المعني التواصلي، أو معنى المرسِل في كيفية قدرته على إفهام المرسل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله"[٤ ]، ومن الدلالات المهمة لمصطلح التداولية ما ذهب إليه بيار لارشي حين قال: "تعنى لفظة البراجماتية إلى جانب الإعراب والدلالة أحد الأقسام الثلاثة لسيميائية العالم الأمريكي شارل موريس ، غير أنه يمكن استعمالها استعمالاً لا تاريخيا لنعت كل نظرية للغة صريحة كانت أو ضمنية لا تغض النظر عن مستعمليها ومؤوليها ، أي تأخذ بعين الاعتبار تأثير بعضهم في بعض[٥]، فهي القوانين والأعراف التي نلجأ إليها لتفسر لنا طريقة استعمال المتكلمين للغة في سياقات مختلفة . كما أنها تعنى: "دراسة اللغة في الاستعمال، أو دراسة استعمال اللغة في التواصل خاصة العلاقات بين الجمل والسياقات.... وكيفية تأثر التراكيب اللغوية بالعلاقة بين المتحدث والمستمع"[٦] وقد عَّرفها ليتش بأنها "كيفية فهم الناس للحدث التواصلي أو الحدث الكلامي في سياق ما. بصورة عامة وتحليل المحادثة "[٧]**

**والتداولية" تدرس العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بسياق الاتصال"[٨] ويمكن القول إن التداولية منهج في دراسة اللغة من خلال**

---

[٢] – محمد محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب ص ٥.

[٣]– لسان العرب، مادة : د.و.ل.

[4]–George yule: pragmatics, (Oxford university press, 1996)p3.

[٥]– بيار لارشي: تداولية قبل التداولية هي تداولية قروسطية عربية إسلامية ، ترجمة :عز الدين المجدوب ص٥٠٠.

[6]–Jack Richard ,John Platt, Heidi Weber: Longman Dictionary of applied linguistics p.225.

[7]– Leech , G. : principles of pragmatics. p

[٨]– خوسيه ماريا إيفانكوس : نظرية اللغة الأدبية : ترجمة حامد أبو أحمد ص ٢٣٢.

استعمالاتها الواقعية التي تتجاوز فيها اللغة دلالاتها المباشرة، وتكتسب دلالات متجددة بتجدد مواقف الاستعمال التي تمنحها تلك الدلالات التداولية المرهونة بالمتكلم والسامع والعلاقة بينهما، وكل الظروف المحيطة بالحدث اللغوي. "وقد اهتم (باختين) من خلال دراساته في فلسفة اللغة بدراسة مجموعة من المكونات المتمثلة في المقام والمعنى وعلاقات الخطاب بمنتجيه إضافة إلى أبعاد ومكونات أخرى لم تنل حظها من العناية والبحث، هذه الاعتبارات وغيرها جعلت تودوروف يقول: إن(باختين) –ودون مغالاة– هو المؤسس المعاصر للتداوليات"[٩].وعن الأسباب وراء نشأة التداولية في اللسانيات الحديثة يرى أحد الباحثين أن "الأساس الأول في نشوء المنهج التداولي كان بمثابة ردَّة فعل على معالجة تشومسكي للغة بوصفها شيئاً تجريديا، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، غفلاً من اعتبار استعمالها ومستعمليها ووظائفها.[١٠] فاللغة عند تشومسكي إحدى إبداعات العقل البشري الذي أنتجها ونظمها، فاستخدم في تحليلها منهجًا عقليًّا خالصًا.

وقد ركزت اللسانيات الحديثة جهودها لدراسة التواصل اللغوي الحي من خلال تسليط الضوء على كل ما يؤثر في فهم المعنى من عناصر سواء من داخل اللغة أم من خارجها، فدخل تحت لواء هذا المنهج عناصر لم يكن لها هذا الحضور في اللسانيات التقليدية والبنيوية والشكلية التي كانت تُعنى بتطبيق المنهج الوصفي بأدواته العلمية على كل ما هو لغوي مادي.

وقد أشار صلاح فضل إلى بدايات المنهج التداولي بقوله:" وقد كانت التداولية في بداية الأمر إحدى الفروع الثلاثة المكونة للسيميولوجيا وهي العلامات أو الرموز، ودلالاتها، وعمليات توصيلها"[١١]وأنها قد تدرجت من دراسة العلاقة بين العلامات اللغوية ومن يستعملونها لتطبق في مجال النصوص والخطاب على نحو خاص " ثم لم تلبث أن حلت كلمة ((نصوص)) محل كلمة ((علامات)) بحيث أصبحت التداولية تُعنى بتحليل العلاقة بين النص

[٩]– محمد الحيرش : تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين ص ١٦١.

[١٠]– السابق ص ١٦١.

[١١]– صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٠.

ومن يستخدمه"[١٢] ويرى فان دايك أن التداولية كانت عبارة عن سلة مهملات عند النحاة، وهي مستمدة من فلسفة اللغة، لاسيما نظرية أفعال الكلام Acts of Speech، ومن تحليل الخطاب ومن الاختلافات الثقافية التي يظهرها التفاعل اللفظي.[١٣]

**ثانيًا: أهمية المنهج التداولي في دراسة اللغة :**

يأتي المنهج التداولي ليمثل مرحلة مهمة من مراحل تطور الدرس اللغوي الذي بدأ أولاً من معالجة مستوى الصحة اللغوية وشروط سلامة التركيب والقواعد والضوابط التي تضمن ذلك، وبعدها معالجة مستوى المعنى وقضايا الدلالة والعلامات اللغوية والمعنى والعلاقة بين العلامة والمعنى، ومشكلات المعنى بشكل عام ، ثم تأتي التداولية لتكمل حلقة مهمة تضطلع بمعالجة قضايا اللغة في علاقتها بمن يستعملونها، لذلك يرى (فان دايك) أن التداولية هي "أكبر مكون ثالث لأية نظرية سيميوطيقية وينبغي أن تكون مهمتها دراسة العلاقات بين الرموز والعلامات والمستعملين لها"[١٤] كما يرى (هيربيرت) أن البراجماتية امتداد ضروري لعلم الدلالة الألسني، وأن عناصرها تشكل تتمة ضرورية لعلم الدلالة لأن الوصف الكامل للدلالة يتطلب إدخال بعض العوامل المرتبطة بظروف الاتصال، كما يحدد مهمة البراجماتية في البحث عن شروط إنتاج الكلام.[١٥]

فدراسة الدلالة في الدرس اللغوي الحديث قد وسعت بشكل كبير لتشمل ما يمكن أن يعده بعض اللغويين واقعًا خارج ميدان الدلالة، وداخلاً في ميدان التداولية، وعلى الرغم من صعوبة رسم خط فاصل متفق عليه بين العلمين،

---

[١٢]- السابق ص ٢٠.

[12]- van dijk, Teun,A.:Text and Context, Explorations in the semantics and Pragmatics of Discourse, P189.

[١٤]- فان دايك: النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني ص٢٥٥.

[١٥]- هيربيرت بركلي: مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، ترجمة: قاسم المقداد ص ١٠٧-١١٠.

وحسب نظرية (فيرث) السياقية، فإن التمييز بينهما ليس بذي أهميـــة كبيـــرة، والمقتضيات الاجتماعية والظرفية، وأعراف

المحادثة، وطبيعة الأفعال الكلامية، وفروق التركيز والتأكيد المرتبطـــة بترتيب الكلمات، والتي يوجد عنها الآن قدر كبير من الكتابـــات، عبـــارة عـــن مظاهر لهذا الاتجاه في علم اللغة الحالي.[١٦]

وقد ساعدت التداولية بشكل كبير في نقل الدرس اللغوي إلى الواقع الخارجي من خلال دراسة الاستعمال اللغوي الحي والفعلي؛ نقلته من دراسة المثالي والمصنوع إلى دراسة موقف اتصالي نشط مع قائله ومتلقيه وظروفه، إلى غير ذلك. ويرى (ليتش) أن المنهج التداولي قدم حلاً لبعض المشكلات التي لم تستطع مناهج التحليل اللغوي الشكلي حلها، فإذا كان المرسل يبحث عن أفضل الطرق لإنتاج خطاب يؤثر به في المرسَل إليه، والمرسَل إليه يبحث عن أفضل طريقة للوصول إلى المقاصد التي يريدها المرسِل، فإن هذه الإجراءات لا تظهرها منظومة خوارزمية تجريدية، كما هو الحال في النحو، بل تظهر من خلال تقدير ذهني عام وفقًا لعناصر السياق.[١٧]

والمنهج التداولي لا يعمل منعزلاً عن دراسة قواعد اللغة ودلالاتها، كما أنه ليس بديلاً عنهما وإنما جاء مكملاً لنقص وسادًّا لعجز هذه المناهج عن بعض المعالجات التي يتطلبها النشاط اللغوي الحي، والمواقف اللغوية الفعلية مثل: "دراسة بعض المعطيات اللغوية كالملفوظات الإنشائية وغيرها من التراكيب المميزة لوضعيات تلفظ خاصة توضح ضرورة ربط التداولية بعلم التراكيب باعتبار أن هذه المعطيات هي ظواهر تركيبية وشكلية يولدها التلفظ بواسطة استراتيجيات خطابية للتعبير عن قيمة دلالية في شكل معادلة بين القول والعمل"[١٨]

أية دراسة للغة لا تضع في حسبانها من يستعملونها ويؤثرون فيها هي دراسة ناقصة، لأن اللغة خلقت ليتداولها الناس، وهم في تداولهم لها يضيفون

---

[١٦]- روبنز د.هـــ.: موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، ترجمة: أحمد عوض ص ٣٦٢.

[17]- Geoffrey, Leech : principles of pragmatics pp.35-36

[١٨]- عثمان بن طالب: البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد على أمثلة عربية ص١٢٥-١٢٦.

إليها تلك الطاقة المتجددة التي تمنح اللغة دلالات موقفية جديدة في كل موقف تستخدم فيه. و" لأسباب لغوية بحتة، شك كثير من اللغويين في إمكانية دراسة الدلالة اللغوية مستقلة عن مستعمليها، ويكفي أن ننظر في النظام اللغوي إلى مقولات: أنا، وأنت، وهنا، والآن، لكي نتحقق من أن علم الدلالة في جانب لا بأس به يدخل تحت تعريف البراغماتية، بأنها علاقة العلامات بمستعمليها" [١٩]

يتعامل المنهج التداولي مع اللغة انطلاقًا من أن كثيرًا من الأهداف النفعية يحرزها الإنسان من خلال استعماله للغة، فهو إن أراد أن ينشئ علاقة اجتماعية مع شخص ما، فعل ذلك باللغة، وإذا أساء في تصرف ما بادر إلى الاعتذار عما بدر منه للمحافظة على صورته واحترامه بين الناس، فإنه يمارس ذلك باللغة، وإذا أسيئ فهمه بادر إلى الشرح والتوضيح باللغة، وإذا أراد شيئًا بقوة، سعى إلى الإلحاح في طلبه باللغة، وإذا أراد الاستفسار عن شيء بدأ في السؤال عنه باللغة، وإذا أراد الانصراف، طلب السماح له أيضًا من خلال اللغة.... إلخ.

مما يعني أن الإنسان يحصل على ما يريد ويفعل ما يريد من خلال الفعل اللغوي، فكل منجزه الشخصي ما هو إلا محصلة لمنجزه اللغوي وممارسته للغة في شتى مناحي حياته، وهذه هي القوة الحقيقية للغة، التي لا تظهر إلا من خلال الاستعمال في المواقف المختلفة، تلك هي قوتها الإنجازية. وكل متكلم يمارس دورًا مميزًا في الفعل اللغوي، وتظل اللغة صورة ذهنية إلى أن ينقلها المستعمِل من تلك الحالة الصورية السكونية إلى حالة نشطة تفاعلية من خلال ممارستها في خطابه، أيا كان نوع الخطاب وأيًا كان مجاله، إن "المتكلمين يمدحون ويذمون ، ويأذنون ويمنعون، ويشكون، ويعتذرون. وليس هذا فقط يتكلفون، بل أن يبينوا أيضًا أن الخير أو الشر عظيم أو يسير، أو أن الأمر حسن أو قبيح، أو عدل، أو جور ...."[٢٠]

تنبع أهمية الدرس التداولي للغة من أهمية اللغة نفسها في عملية التواصل الإنساني " بما أن اللغة هي الشفرة الرمزية المهيمنة في العملية

---

[١٩]– محمد صلاح الدين الشريف: تقديم عام للاتجاه البراغماتي ص١٠٠.

[٢٠]–أرسطوطاليس: الخطابة ، حققه وعلق عليه: بدوي عبد الرحمن ص١٨.

التواصلية، فإنه قد يكون من المفيد أن تدرس العمليات التواصلية من وجهة نظر تداولية " [٢١] وقد لفت بعض الباحثين النظر إلى مناسبة المنهج التداولي لتحليل الخطاب السياسي على نحو خاص، فالمنهج التداولي هو الذي استطاع أن يكشف مناورات الخطاب السياسي، إذ لا يجدي غيره من المناهج في تحليله، ومعرفة ما يقف وراءه، لأنه خطاب يناور ويساوم ويُضلل باستثمار آليات ووسائل وأدوات تعثر على تجريدها النظري في مصطلح استراتيجيات الخطاب[٢٢]

التداولية أعم وأشمل من الوظيفة التواصلية للغة، والتي يمكن أن تقف عند وظيفة واحدة من وظائف اللغة، وهي ممارسة اللغة في مجال التبليغ أو التوصيل، في حين تشمل التداولية ممارسة اللغة في مختلف أنشطة الحياة الإنسانية." لقد تطلع بعض علماء اللغة وعلم المعاني بشكل خاص إلى الفلسفة البراجماتية كإطار يمكن استخدامه لتفسير المعاني اللغوية المختلفة ووظائفها في مجالات الحياة العامة بعدما عجز معظم علماء اللغة عن تناول المعاني بشكل علمي واضح" [٢٣]

وإذا كان المعنى اللغوي للألفاظ قد اضطلعت معاجم اللغة بشرحه وتوضيحه فإن المعنى السياقي ظل مؤرقًا لعلماء اللغة بشكل عام وعلماء الدرس الدلالي على نحو خاص، وذلك لكثرة العوامل المتدخلة في تحديده وتشعبها وتشابكها واختلافها باختلاف مواقف الاتصال، وتعدد المتكلمين والمخاطبين في كل زمان ومكان. إن "المشكلة المركزية لعلم البراجماتية ((التداولية)) تكمن في تحديد الفجوة الكبيرة بين معنى الجملة والمعنى الذي يقصده المتحدثون" [٢٤]، لذلك يستعين المنهج التداولي بوسائل وآليات من خارج اللغة، فيلجأ إلى الواقع الفعلي الذي تُمارس فيه اللغة، فيوظف عناصره ومكوناته سواء أكانت لغوية أم غير لغوية لتقريب الفجوة بين المعنى اللغوي

---

21– B.J. Haslett : Communication strategic action in context p3.

٢٢– عبد الجليل الأزدي: التواصل والتواصل السياسي ص ١١٧.

٢٣– محمد سامي أنور: اتجاهات جديدة في دراسة المعني اللغوي ص٢٢٣.

24– Wilson , Deirde: pragmatics modularity and mind reading P.1.

والمعنى المقصود أو المعنى الموقفي، و"يستعاد بحل رموز شفرة هذه الفجوة الموجودة في المعنى الذي يقصده المتحدث، والمعنى اللغوي، بإيجاد التكافؤ بينهما، ورفض التأويل المقطوع وغير المحدد." (٢٥)

ومكمن الصعوبة في تحصيل الدلالة التي يقصدها المتكلم، أن لكل إنسان تجربته الاجتماعية والنفسية الخاصة التي لا تتشابه مع الآخرين ممن ينتمون معه للمجموعة اللغوية نفسها، فلكلٍ طريقته الخاصة في استعمال اللغة وإنتاج المعاني والدلالات وفقًا لمنظوره هو وتجربته الشخصية وطريقته الخاصة في ممارسة اللغة، وهذا لا يتناقض مع التشابه العام والقدر المشترك من السمات العامة لمن ينتمون لجماعة واحدة في استعمالهم للغة كتصور عام.

فالخطاب على اختلاف أنواعه لا يُنتج ويُفهم من خلال القدر المشترك من السمات والخصائص فحسب، إذ أنه ليس معزولاً عمن أنجزه وما يتمتع به من خصوصية، وعمن يتلقاه وما يحيط به من مؤثرات تؤثر حتما في فهمه وفي طريقة استقباله للخطاب وفي تفاعله معه لذلك لا يمكن أن نقف في فهمنا وتحليلنا للخطاب عند حدود المعنى اللغوي المباشر، بل لابد من اعتبار الدلالات العليا التي يتضمنها الخطاب من خلال أدوات لغوية بيانية تصويرية يبدعها المتكلم مثل الاستعارات والمجازات وكل طرق الإنتاج والتصوير الإبداعي للدلالة، وأدوات غير لغوية (غير لفظية) مثل الإشارات والإيماءات والتلميحات وغيرها، التي يشملها الموقف الاتصالي فيجليها ويكشف للمتلقي غموضها وسرها ويزيل خفاءها ودقتها، فتكتسب اللغة حيويتها ومرونتها وتجدد استعمالاتها وتنوعها بالقدر الذي يُسهم به كل مستعملي اللغة في مختلف المواقف.

## ثالثًا: الأُطر العامة للمنهج التداولي:

وجه المنهج التداولي اهتمامه لدراسة استعمال اللغة في الخطاب، متجاوزًا الدرس الشكلي والبنيوي الخالص، الذي يُعنى بالقواعد والدلالات الحرفية والمباشرة للخطاب، إلى دراسة الملفوظ دراسة موسعة تشمل السياق

---

25–Ibid P.3

**الواسع الذي يضم الخطاب ومنتجه ومتلقيه وظروف الإنتاج والتلقي والسياق التاريخي والثقافي والبيئي، وكل الأحداث المصاحبة له، التي تؤثر في بنائه (من قِبل المنتج) وتلقيه وتفكيكه (من قِبل المتلقي)، وكل ما تضمنه من إشارات وإيماءات وتلميحات توجه مقاصد المتكلم وتساعده في الوصول لأغراضه من الخطاب، كما تساعد المتلقي في الوصول لهذه المقاصد وتحصيل دلالاتها على نحو دقيق، وتشمل كذلك نوع العلاقة بينهما، ودرجة التفاعل والانسجام ومرونة العلاقة، التي تؤثر سلبًا وإيجابًا في عملية التواصل اللغوي بشكل عام.**

**وبذلك يكون المنهج التداولي قد خرج في دراسته للغة عن إطار دراسة البنيات اللغوية تركيبًا ودلالة لدراسة مكونات الحدث التواصلي ككل، ولكل حدث تِواصلي سياقه الخاص الذي يضمن حسن تأويله وتفسيره للوصول إلى مقاصده، كما أن وعي المتكلم بالسياق الداخلي والخارجي للخطاب، يظهر أثره بوضوح في استجاباته لمقتضيات السياق أثناء الخطاب. "إن الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأن اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فهي ليست وظائف مجردة . وبما أن الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز"[٢٦] فلا يُسمى النص نصًا إلا إذا ضم إلى جانب مكوناته اللغوية والنحوية والدلالية مكونات أخرى، تمثل ملامح أساسية فيه، مثل كونه حدثًا تواصليًّا له سياقه الخاص وأهدافه الخاصة التي أنتجها متكلم بعينه متوجهًا به إلى مخاطب بعينه، بينهما علاقة ما، في زمان ومكان محددين، تركت هذه المكونات آثارها في عملية التواصل، إلى غير ذلك من العناصر التي أسهمت في بناء الخطاب وفي إجراءات فهمه وتأويله وتحليله.**

**فإذا نظرنا إلى الخطاب على أنه ممارسة عملية للكفاءات التواصلية لدى المتكلمين (كفاءة الإنتاج وكفاءة التلقي)، فإن الأمر يتجاوز مفهوم (الكفاءة والأداء) من منظور تشومسكي، كما يتجاوز أيضًا الوصف المجرد للأبنية اللغوية كما هي الحال عند دي سوسير وبلومفيلد، لأن المُنتَج النهائي للحدث اللغوي التواصلي أكثر تعقيدًا من ذلك، كما أن العناصر التي تضافرت لإنتاجه**

---

[٢٦]– عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية ص٢٣.

وتلقيه أكبر من ذلك أيضًا، والاعتبارات الاجتماعية والنفسية والبيئية التي أحاطت به لا يمكن إغفالها أو التغاضي عنها في مجال التحليل.

إن تحليل المكون التداولي (البراجماتي) للخطاب يتم من خلال الاستعانة بمجالات وروافد معرفية أخرى متعددة من خارج اللغة، مثل المنطق والفلسفة والاجتماع والاتصال وغيرها، كما أن الهدف من تحليل المكون التداولي للخطاب هو بيان الأدوات والأساليب التي يتحقق بها التوافق والانسجام بين الخطاب والواقع الذي أفرزه، فانسجام مكونات الخطاب الداخلية مع مكونات الواقع الخارجية، ليؤكد أن الأحداث التواصلية ما هي إلا انعكاسات لحوادث حقيقية في الواقع، فالنص يخلق عالمًا موازيًا للعالم الواقعي الذي نعيشه.

و"يعترف كارناب أن التداولية درس غزير وجديد، بل يذهب إلى أكثر من هذا بقوله إنها قاعدة اللسانيات، إذ إنها محاولة للإجابة عن أسئلة تطرح نفسها على البحث العلمي، ولم تجب عنها المناهج الكثيرة، وقد لا تسلم من المشكلات حالها حال أي منهج لدراسة اللغة....ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم ..... من يتكلم ومع من؟ من يتكلم ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعمل حتى يرتفع الإبهام عن الجملة؟ ماذا يعني الوعد؟ كيف يمكننا قول شيء آخر، غير ما كنا نريد قوله؟ هل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصد ما؟ ما هي استعـــمالات اللغة؟ أي مقياس يحـــدد قـــدرة الواقع الإنساني اللغوية؟"[٢٧] فإذا كان كارناب يرى أن التداولية هي قاعدة اللسانيات، فإنها أتت من روافد معرفية متشعبة، حيث مزجت بين الدرس اللساني والفلسفي والاجتماعي والنفسي والأنثروبولوجي، إلى غير ذلك من المجالات المعرفية التي أفاد منها الدرس التداولي.

قدَّمت التداولية للدرس الدلالي مجموعة من الإجراءات في التحليل اللغوي سواء على مستوى الحديث العادي أو الفردي لاستخلاص السمات الفردية والإسهامات الذاتية لكل فرد، أو على مستوى دراسة قوانين الخطاب وتأويل الضمنيات والمضمرات فيه، أو على مستوى الأقوال التي ينجز بها المتكلم الأفعال، التي يطمح من خلالها إلى إحداث التغيير، فالنشاط اللغوي

[٢٧]– فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش ص ٧.

للإنسان يمثل وجهًا من الأوجه المتعددة للنشاط الإنساني العام، وهو يتأثر بها ويؤثر فيها، وينبغي دراسته من خلال سياقه العام، لذلك لا تكفي المناهج اللغوية وحدها لتفسير هذا النشاط وتحليله، وفهم دلالات مكوناته المتعددة. لأن "مكونات الخطاب التي تدرسها العلوم الإنسانية هي مكونات لا تقبل الاختزال إلى مظهرها الإشاري الِصرف، كما هو معمول به في التوجهات الاختزالية ذات النزوع الموضوعي (السيكولوجيا السلوكية، اللسانيات البنيوية، والبويطيقا الشكلانية) بل تتطلب إنتاج معرفة بطابعها السيميائي الذي يجعل منها مكونات حية ومتفاعلة"[٢٨] وقد سعى المنهج التداولي لدراسة التواصل اللغوي وعلاقاته المتشابكة والمتواصلة التي يظهر أثرها في دلالة الخطاب وتأويل المقصود وليس دراسة نماذج وقوالب لغوية مصنوعة لدراسة قواعد بناء اللغة، لأن "اللغة حاصل تفاعل عوامل داخلية ترجع إلى خواص الكائن البشري الذاتية، وخارجية ناتجة عن تجربته في العالم في أبعادها الفيزيائية والبيولوجية والسلوكية النفسية والاجتماعية الثقافية"[٢٩]

إن المضمون الفعلي الذي تقدمه النصوص في شكل تراكيب لغوية غير كاف لتقديم تفسيرات دقيقة ومقبولة للخطاب، وإن المفسِّر عليه أن يستعين بكل العناصر التي تمكنه من تقديم تفسيرات مقبولة، لذا نجد أن الاتجاهات النصية اختلفت فيما بينها في كيفيات الوصف، وإن اتفقت جميعها على ضرورة إدراج العناصر والتصورات غير اللغوية في عملية التفسير.[٣٠] وتشمل هذه العناصر المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما وسياق الخطاب وتفصيلها على النحو الآتي:

**أ- قصد المتكلم:**

لكل متكلم أهدافه ومقاصده التي تتحكم في صياغته للخطاب، لذلك يمكن القيام بإعادة صياغة الخطاب مع المحافظة على سلامة البناء النحوي وتماسكه الدلالي، لتحقيق أغراض ومقاصد خطابية مقامية قائمة في ذهن المتكلم، ومع

---

[٢٨]- محمد الحيرش: تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين ص ١٥٩.

[٢٩]- جيل فوكونياي: الفضاءات الذهنية، ترجمة: منصور الميغري ص ٣٨٩.

[٣٠]- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٣٣.

**كل إعادة صياغة تظهر مقاصد مغايرة لتلك التي ظهرت من قبل، فالخطاب هو الآلية التي يستخدمها المتكلم لحمل مقاصده ونقلها للمخاطب، ويمكنه من خلالها تنشيط درجة التفاعل بينهما كما يمكنه العكس.**

**وتأتي أهمية دور المتكلم في أن المعنى المقصود للملفوظات يحدده المتكلم، ولا تحدده اللغة ، كما أن فاعلية الخطاب وتأثيره تزيد بفعل المتكلم نفسه ودرجة نشاطه وتفاعله لأن" إنتاج النص هو نشاط قصدي دائماً ينجزه متكلم ما وفق الشروط التي ينتج في ضوئها نص ما، ويحاول أن يُفهم السامع من خلال المنطوق اللغوي"[٣١] ويمثل القصد والتفاعل وتحديد الهدف الاجتماعي جانبًا جوهريًّا في إنتاج النص.[٣٢]**

**واللغة هي الأداة التي نستعملها لتحقيق غاياتنا وأهدافنا، فهي في حد ذاتها وسيلة وليست غاية لذلك " إن استعمال اللغة من المنظور التداولي غائي، فالتكلم يتم لتحقيق غاية ما أو هدف معين أو إشباع حاجة أو الحصول على فائدة، فلذا تُستعمل اللغة للأغراض والمقاصد والمآرب ذاتها بصفة فعلية وعملية في سياقات مختلفة ومقامات متباينة"[٣٣] والمتكلم هو حجر الزاوية في عملية الاتصال اللغوي فهو "يمثل من النظرية البلاغية منزلة مرموقة، فهو طرف أساسي في عملية الكلام وعنصر فعَّال في تحديد خصائص النص إذ على عاتقه تقع كلفة إخراجه على سمت يستجيب لمقتضيات الوظيفة والإبانة والمقام" [٣٤]**

**وتتجلى القدرة التداولية للمتكلم في المواءمة بين أنماط الخطاب والصياغات المتاحة وبين المواقف السياقية التي تحيط به، حيث توفر اللغة للمتكلم كثيرًا من الإمكانات والبدائل، وهو يتعامل مع اللغة انطلاقًا من كونه هو الفاعل وهو الموجه والمستعمل لها، فأحيانًا يستعمل اللغة في خطابه بالمعنى**

---

[٣١]- فولفجانج هانيه مان، ديترفيهفجر: مدخل إلى علم لغة النص ، ترجمه وعلق عليه: سعيد حسن بحيري ص ٩٨.

[٣٢]- السابق ص ١٠٠.

[٣٣]- محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ص ٣٠.

[٣٤]- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب ص ٢٤٨.

**الحرفي ويقصد منها إلى الدلالة المباشرة، وأحيانًا يتخطى ذلك إلى استعمالات أخرى مجازية وأدبية ترتقي باللغة من الدلالات الحرفية والمباشرة إلى دلالات عليا، تُوظف فيها اللغة توظيفًا استعاريًّا ومجازيًّا إلى غير ذلك من أشكال اللغة الأدبية، ويأتي دور السياق في فهم تلك الدلالات والمقاصد مما يعني أن استجابات المتكلم لمقتضيات السياق تحدد شكل الخطاب وأسلوبه، وأن التأثيرات التي تملكها اللغة إنما هي للمتكلم، فاللغة بأدواتها ودرجات التعبير فيها، تخضع للمتكلم يتصرف فيها كيف يشاء، والسياق هو الذي يتحكم في المتكلم ويملي عليه مقتضياته الخاصة.**

**فالمتكلم بحسب كفاءته يمكنه توظيف اللغة أو إعادة توظيفها توظيفًا يُخرج منها طاقات ودلالات جديدة، وينتج منها خطابات متعددة ومتنوعة، وقد فصَّل أحمد المتوكل أنواع القدرة التواصلية للمتكلم في خمس مَلَكات على الأقل؛ حيث ذكر أن القدرة التواصلية لدى مستعمل اللغة الطبيعية تتكون من خمس ملكات على الأقل وهي: الملكة اللغوية والمَلَكة المنطقية، والملكة المعرفية والملكة الإدراكية والمَلَكة الاجتماعية، ويقترح على أساس هذا التصور للقدرة التواصلية أن يُصاغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية في شكل جهاز يتكون من خمسة قوالب[٣٥]، وهو يرى موافقًا " لسيمون ديك" أن تُقسم هذه القوالب إلى فئتين هما: قوالب آلات وقوالب مخازن، تضم الفئة الأولى القالبين النحوي والمنطقي، في حين تضم الثانية القالب المعرفي والقالب الإدراكي والقالب الاجتماعي.[٣٦]**

**وقد أشار كمال بشر إلى الدور الواضح للمتكلم في صياغة اللغة وأن كل استخدام فردي وخاص للغة يمكن أن يخرج عن النظم المألوف والقواعد الثابتة، فمعرفة مدى هذا الخروج عن المألوف يعني معرفتنا بدور المتكلم.[٣٧]**

---

[٣٥]- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي ) ص ١٧.

[٣٦]- السابق ص١٨.

[٣٧]- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي ص.

فلكل متكلم قدرة خاصة على استعمال اللغة استعمالًا، لا يخالف القواعد الثابتة للغة، ولكــن يضفي عليها طابعًا إبداعيًا من خلال تأثير هذا الاستعمال فيها.

**ب- دور المخاطب:**

يأتي دور المخاطب وهو الطرف الثاني في عملية الاتصال القائم بعمليات وصف النصوص اللغوية وتحليلها وتفسيرها وتأويل المعنى فيها، وهو دور لا يقل أهمية عن عمليات إنتاج النصوص نفسها؛ فإذا كان إنتاج النص هدف المتكلم، فإن هدف المتلقي هو الفهم والتفسير والإدراك لمحتوى النص، لذلك يرى سعيد بحيري أن النص يتطلب قارئًا متمرسًا قادرًا، لا يقتصر على مجرد تفسير الأبنية اللغوية فحسب، بل يتخطى ذلك بإدخال معارف وتصورات ومقولات تثري عملية التفسير وتكسبه قدرات تتعلق بإجراءات التحليل المختلفة.[٣٨]

ولا يكون الكلام مفيدًا ولا الخبر مؤديًا غرضه، ما لم يكن حال المخاطب ملحوظًا ليقع الكلام في نفس المخاطب موضع الاكتفاء والقبول ومن أجل ذلــك تكلم أصحاب علم المعاني وأطنبوا في مراعاة حال المخاطب ومقتضــى الحــال عرفانًا منهم بما للكلام من ظروف تتحكم فيما يصدر عن المتكلم من كلام ينقل به أفكاره إلى المخاطب.[٣٩]

فالقدرة اللغوية لدى المتكلم والمخاطب هي أيضًا قدرة تفاهمية ســماها التداوليون "القدرة التواصــلية (Communicative Competence) وفــى نظرية النحو الوظيفي، هي ما يُمكِّن "مستعملي اللغة الطبيعية" من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي.[٤٠]

إن عملية الاتصال اللغوي في حقيقتها قائمة على التفــاهم؛ (الإفهــام والفهم)، إذ يبذل المتكلم قصارى جهده لإفهام المتلقي ما يصبو إليه، والمتلقي بدوره يقوم بنفس القدر من الجهد لتأويل كلام المتكلم، فوجود المتلقي عنصــر

---

[٣٨]- سعيد حسن بحيري: اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص ١٣٧.
[٣٩]-مهدي المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه ص ٢٢٥.
[٤٠]-أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية ص ١٦.

من عناصر النظرية اللغوية وأحد أطرافها. وهو ليس طرفًا سلبيًا في الحدث اللغوي، وإنما يشارك مشاركة فاعلة من خلال تجاوبه مع المتكلم وتفهمه لظروف الخطاب ودواعيه ومكانه وزمانه، ولمعرفة ظروف المتكلم دور كبير في تحديد المعنى المقصود على وجه الدقة، مما يساعده في فهم الكلام الموجه إليه أهو على سبيل الحقيقة أم المجاز أم السخرية والتهكم، إلى غير ذلك من المعاني التي يمكن أن يؤول إليها الكلام.

وفي بعض الأحيان تكون المعاني غير واضحة أو عامة أو تحتمل العبارة أكثر من معنى. وهنا تكون مهمة المخاطَب أن يستنتج المعنى الذي يريده المتكلم وسوف يستخدم كل العوامل المتاحة التي من شأنها أن تساعده في ذلك بغض النظر عن كونها من داخل الجملة أو القطعة من المحادثة أو من خارجها.[٤١]

"إن أفعال التوصيل وتصرفاته لا تأتى مع افتراض التوضيح (التفسير) للمستمع؛ فبعض المنطوقات موضحة وبعضها الآخر غير ذلك، والاعتماد على أهداف المستمع وشخصيته ورؤيته،.... وبشكل عام، فإن المستمع قد يُقِرُّ بوجهة نظر المتكلم أو لا يُقرُّ بها، فهو ليس مستقبلاً خاملاً للمعلومات، لذلك فإن افتراض التوضيح غير قابل للتطبيق.[٤٢] ويؤكد بعض الأسلوبيين دور المتلقي عندما يحددون مفهوم الأسلوب من خلال أثره في هذا المتلقي، ويُعَرَّف الأسلوب بأنه إبراز بعض عناصر سلسلة الكلام، وحمل القارئ على الانتباه إليها، بحيث إذا غفل عنها شوه النص وإذا حللها وجد لها دلالات متميزة وخاصة.[٤٣]

---

(41) Green, Georgia M. :The nature of Pragmatic information p.16

(42) Brown ,Gillian: Speakers, Listeners and Communication: Explorations in Discourse analysis PP 623-624.

٤٣- محمد عبد المطلب: البلاغة الأسلوبية ص٢٣٩، ٢٣٤.

**ج- التفاعل بين أطراف الخطاب:**

**التواصل اللغوي نشاط تفاعُلي يستلزم وجود علاقة بين طرفيه (المرسِل والمتلقي) وهما يتعاونان معاً في إنتاج الخطاب وفهمه وتأويله، يقوم الطرف الأول (المرسِل) بإنشاء الخطاب واضعًا في حسبانه فهم المتلقي وطريقة تأويله للخطاب والوصول إلى مقاصده، ويقوم الطرف الثاني(المتلقي) بفهم النص وتفكيكه وتحليل محتواه وتحصيل دلالاته، لذلك فإن "إنتاج النص هو باستمرار نشاط تفاعلي مرتبط بشريك"[٤٤] والخطاب يتأثر في بنائه وصياغته بنوع العلاقة ودرجة التفاعل بين المتكلم والمخاطب، أو المخاطبين، والخلفية المشتركة التي تربطهما معاً والتي تزيد من درجة التفاهم بينهما وذلك لأن "الأفعال اللغوية أفعال إرادية، إذ يقصد المرسِل إنجازها، ويريد أن يُدرك المرسَل إليه هذا القصد. ويُمكن أنَ يُضاف الشرط التفاعلي، لتصبح أفعال الآخرين اللغوية التي يشاركون بها في السياق التواصلي، هي السياق الدافع لإنتاج الخطاب اللاحق" [٤٥]**

**إن مستخدمي اللغة ينتمون إليها ليس فقط باعتبارهم كُتَّابًا أو متكلمين أو قُرَّاء أو مستمعين، لكنهم يتفاعلون غالبًا في مجموعات مؤتلفة ومركبة لأداء أدوار اجتماعية وثقافية، ويظهر أثر هذا التفاعل في تركيب البنيات اللغوية وفهمها وتفسيرها.[٤٦] ويؤكد(Van Dijk) أن الخطوة الأكثر تعقيدًا في تحليل الخطاب هي أن تدرس الأحداث باعتبارها تفاعلاً بين الناس وليست مجرد أحداث متلاحقة أو متتالية، لأن الناس يجب أن يكونوا متفاعلين ولديهم نية وغرض من الدخول في محادثة وتفاعل مع شخص آخر أو ضده، ويضع شروطاً للتفاعل بين أطراف الحدث اللغوي منها أن نكون منتبهين وواعين لحديث الشخص الآخر، وأن نسمعه باهتمام ونلتفت إليه أثناء الحديث، فنحن**

---

[٤٤]- فولفجانج هانيه مان، ديترفيهفجر: مدخل إلي علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه سعيد حسن بحيري ص ٩٩.

[٤٥]- محمد بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ص ٤٣-٤٤.

[46] Van Dijk, Teun A.: Discourse studies: Discourse as Social Interaction volume 2. p.3.

**نحتاج لفهم الطرف الآخر كي يتحقق لنا معرفة ما يقصده ويتم التفاعل معـــه، كما ينبغي تفعيل المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب، وتوظيفها في إحداث التفاعل وتوقع كل طرف ما يقصده الآخر. فالخطاب شكل من أشـــكال الســـلوك الاجتماعي والتفاعل يقتضي ضمنًا أكثر من مجرد شعور عام بذلك.[٤٧]**

**كما يعد من بين عناصر السياق "العنصر الذواتي؛ يعنى ما بين ذوَات المتخَاطبين واقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين.... فهذه المعرفة المشتركة هي معرفة معقدة التركيب "[٤٨] هذه المعرفة المشتركة أو الخلفية المعرفية الموحدة تقتضي أن يطرح المتكلم من خطابه كل ما يعتقد أن المخاطب يعلمه من أحداث ومعلومات لها علاقة بالخطاب الذي يقدمه له، مما يترك أثرًا واضحًا في عملية التفسير والتأويل لما جاء في الخطاب بالفعل استنادًا على ما لم يرد فيه مما يقع في حيز المعرفة المشتركة بينهما.**

**إذا كانت السمات المميزة لمتكلم معين، تترك سمات مميزة للخطاب نفسه، وإذا كان من المنطق أن كل كلام لابد له من متكلم أنتجه، فإن متكلمًا مخصوصًا ينتج خطابًا مخصوصًا له سماته التركيبية والدلالية والسياقية المميزة، كذلك الحال في المتلقي، فإذا كان الخطاب بطبيعة الحال ينتج من أجل المتلقي، فإن متلقيًا بعينه يتعامل مع الخطاب بطريقته الخاصة التي يتميز بها عن غيره. لذلك فإن درجة التفاعل بينهما من المقولات المهمة في التحليل التداولي للغة، وقد أشار حمادي صمود إلى أهمية المتكلم والمخاطب والسياق في العملية اللغوية من خلال تفريقه بين الملفوظ والتلفظ بقولِه: "ونعني بالملفوظ بنية النص وخصائصه النحوية والبلاغية العامة من جهة أن النص تشكل لغوي قائم بذاته ولا دخل لملابسات إنجازه في تحديد صفاته، وهي وضعية نظرية تكاد تكون لا تتم لنص من النصوص، أما التلفظ ففعل يقوم به متكلم معلوم في حيز زماني ومكاني مضبوط يخرج به النص من الوجود بالقوة**

---

(47) Van Dijk, Teun A. : Discourse as Interaction in Society P.10.

٤٨- طه عبد الرحمن: البحث اللساني والسيميائي. الدلالات والتداوليات ص٢-٣.

**إلي الوجود بالفعل، وبموجب هذا الإخراج تتدخل في العملية اللغوية عناصر أجنبية عنها كالمتكلم والسامع والسياق"[٤٩]**

**وقد أشار محمد عبد المطلب إلى التوازن الصياغي بين طرفي الاتصال: (المتكلم والمخاطب) في سياق الحركة الأفقية للمعمولات داخل الخطاب بقوله: "فإذا سأل سائل: من كَلمت؟ جاءت الإجابة: خالدًا كلمت، فحدث التوازن بين تقديم المفعول في السؤال وتقديمه في الجواب، ولا ينفي هذا التوازن وجود مستهدف بلاغي إضافي يعمل على إكساب المتقدم نوعًا من الأهمية على معنى أن حركة الذهن تستدعي حضور المسئول عنه أولاً"[٥٠]**

**د- دور السياق:**

**السياق هو العنصر الرئيس، وهو المحرك لكل العناصر الأخرى للتفاعل والانصهار في تكوين الموقف الاتصالي، وفهم الدلالات بدقة يتطلب الإحاطة بكل عناصره " وله مجالات معرفية متعددة تتنوع عبر فضاءات معرفية كثيرة؛ منها ما هو مرتبط بالمتكلم والمتلقي وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان وغيرها"[٥١]**

**يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن فهم النص عن طريق الظروف والملابسات عملية سابقة على فهمه من خلال اللغة المنطوق بها[٥٢] "فالذي أقصده بالمقام ليس إطارًا ولا قالبًا وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءًا منه كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم وذلك يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ... والغايات والمقاصد"[٥٣]**

---

[٤٩]- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب ص ٢٩٩.

[٥٠]- محمد عبد المطلب : البلاغة العربية ص ٢٤٨.

[٥١]- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة ص١٦-١٧.

[٥٢]- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ص ٤٥.

[٥٣] - تمام حسان: الأصول ص٣٣٣.

**كما يرى (أولمان) أن من أهم ما أضافه المنهج السياقي أنه يجعل المعنى سهل الانقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي.[٥٤] والسياق بشكل عام هو المظلة التي تحتوي كل الممارسات الإنسانية في المناحي الاجتماعية والثقافية والعلمية وغيرها، فكل قول أو عمل للإنسان يتم من خلال الموقف بكل عناصره ومكوناته، فهو الإطار العام الذي يرشد الإنسان لاختيار الملائم منها، فيقرر ما يمكنه فعله أو قوله، فالفعل أو القول الذي يختاره الشخص في موقف ما لا يمكنه إعادة استخدامه في موقف آخر مختلف، فلا يمكن فصل الخطاب عن السياق الذي أنتجه بأية حال من الأحوال، وكلما كانت عناصر السياق أكثر وضوحًا وتفصيلًا كانت الدلالة المتحصلة أوضح وأدق، فالسياق بالنسبة للمتكلم هو الأداة التي تساعده في اختيار منجزه اللغوي ككل، اختيارًا يمكنه من تحقيق منجزه العام في الحياة.**

**ويمكن القول إن وضوح الدلالة في التواصل اللغوي الفعال يتطلب أن نستحضر كل ظروف المقام، إلى جانب المتكلم الواعي المدرك، والمخاطب المتفاعل النشط، وغيرها من عناصر ضمان نجاح الخطاب والتواصل ووضوح المعنى، وهي عناصر خارجة عن اللغة، لكنها داخلة بقوة في تكوين الدلالات المقصودة. لذلك "فإن نظرية السياق – إذا طُبقت بحكمة– تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن" [٥٥]**

**ويمكن هنا التدليل على دور العناصر التي سبق تناولها من خلال مجموعة من المقولات والعبارات التي كثيرًا ما نسمعها أو نقرأها وهي تختلف فيما بينها في دلالاتها الحرفية المباشرة وتتجمع حول الدلالة التداولية التي تتفاعل هذه العناصر معًا في إنتاجها وهي:**

- **أدمى الحزن قلبها واعتصره الألم.**
- **انفطر فؤادها من هول الصدمة.**
- **أكلت عينيها من الحزن.**

---

[٥٤]– ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر ص٦٠.

[٥٥]– ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر ص٦١.

- اشتعل الحزن في قلبها وحواسها.
- دقَّ الحزن عظمها ولحمها.
- كتمت حسرتها وابتلعت مأساتها.
- أفقدها الألم والحزن صوابها.
- أصابتها صفرة الأسى وشحوبه.
- دفنت سعادتها وبهجتها للأبد.
- باتت تقاوم حزنها ولوعتها.
- ذاقت مرارة الحزن.
- ضمدت جراحها ومضت.
- سكنت جوارحها واستسلمت ليأسها.
- سالت مقلتيها.
- حبست حزنها ولاكت تعاستها ومضت.
- تجرعت يأسها وانكسرت آمالها.
- أنبتت الأحزان أشواكها بقلبها اليتيم.
- لملمت انكساراتها وأحلامها المتناثرة.
- ذبلت أوراق سعادتها.
- التهمها جحيم الحزن الذي حل بداخلها.
- حَطَّم الحزن بقيتها ومضى.
- خَيَّم شبح التعاسة على حياتها.
- أعمتها الصدمة عن كل من حولها.
- سرق الحزن صوتها فلم تنطق.
- كانت ذابلة العينين.
- زلزلت الصدمة كيانها.
- انفجر بركان الحزن بداخلها.

في هذه العبارات وغيرها يتضح أن الدلالة التداولية التي تجمعت حولها هي الحزن والألم والحسرة واليأس والمعاناة، وقد أوجدت هذه الدلالة بين العبارات السابقة جميعها علاقة قوية وربطت بينها متجاوزة دلالاتها المباشرة إلى دلالة خاصة، هذه الدلالة أنتجها الموقف والسياق وخصوصية التجربة، وليس للدلالة

الحرفية للألفاظ، فالمعاني هنا متحصلة من الاستعارات والكنايات والمجازات، وهي استعمالات عليا للغة تتجاوز مرحلة الدلالة القريبة المباشرة وتمنح الخطاب دلالته المقصودة.

إن قضايا الدلالة تؤكد عدم استقلالية اللغة أو انعزالها عن النسق المعرفي والنفسي والاجتماعي العام لمستخدميها، وللمتكلم أن يبدع في استعمال لغته حقيقة ومجازًا، وقد سبق ابن جني في ملاحظته الرائدة في هذا المجال عندما ذهب إلى القول بأن:" أكثر اللغة جار على المجاز، وقلما يخرج الشيء منها على الحقيقة .... فلما كانت كذلك، وكان القوم الذين خُوطبوا بها أعرف الناس بسعة مذاهبها .... جرى خطابهم بها مجرى ما يألفونه ويعتادونه منها وفهموا أغراض المخاطِب لهم بها على حسب عُرفهم وعادتهم في استعمالها...."[٥٦]

إن المعنى التداولي للخطاب هو محصلة مكونات لغوية وغير لغوية تتضافر معًا في شبكة معقدة من العلاقات المتداخلة التي يُفهم المعنى من خلالها، لذلك فإن المنهج التداولي قد ملأ فراغًا كبيرًا وحل مشكلات كثيرة تتعلق بدراسة المعنى ظهرت بوضوح في المعالجات والأطروحات التي ركزت مشروعها اللغوي لدراسة أبنية اللغة، معزولة عن المؤثرات الاجتماعية الأخرى، أو السياق العام الذي يُمارس فيه النشاط اللغوي، وتتولد الدلالة من خلاله.

### رابعًا: مبادئ الفكر التداولي وأصوله في التراث العربي:

إذا كان المنهج التداولي في الدرس اللغوي الحديث والمعاصر يدرس استعمال اللغة وما يكتنف هذا الاستعمال من كيفيات وظروف وملابسات وركزت نقطة الضوء على اللغة في علاقتها بمستعملها ومتلقيها، فإن مصطلح "الاستعمال" قد ورد في الثقافة العربية على نطاق واسع سواء قُصد به استعمال العرب للغة، والذي قُعِّدت القواعد وفقًا له ، وكان المعيار الأول والأهم في التقعيد للغة، يليه "القياس" وهو المعيار الثاني من معايير استنباط وصياغة وتعميم قواعد اللغة وهو يركن أيضًا إلى السماع أو الاستعمال ويستند عليه،

[٥٦]- ابن جني : الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار ٢٤٧/٣.

**لأنهم قاسوا ما لم تستعمل العرب في كلامهم على ما استعملت أو قُصد به استعمال العرب للغة وفق مقتضيات الحال أو ما سُمي بـــ "المقام" فمن جوامع الكلم في الثقافة العربية عبارات مثل "لكل مقام مقال" و "مراعاة الكلام لمقتضي الحال" ففكرة الحال أو المقام أو السياق فكرة أصيلة في تحليل العربية وتحصيل معناها عند علمائنا الأوائل أمثال: سيبويه، والجاحظ، والمبرد، وابن جني، وعبد القاهر، وغيرهم و"التفكير اللغوي العربي هو تفكير في اللغة وفي لغة الخطاب أيًّا ما كان نوع هذا الخطاب وأيًّا ما كانت مقاصده. وهذه حقيقة لا يمكن أن نتجاوزها مهما اختلفت المدارس والاتجاهات والحقول التي درست اللغة، ومهما كانت منطلقاتها الفكرية أو غاياتها وأدواتها " [٥٧] ويرى صلاح فضل أن مفهوم التداولية يغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يُشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة "مقتضى الحال" [٥٨]**

**ومن خلال منهج العلماء القدماء في التراث النحوي والبلاغي والأصولي بدا واضحًا عنايتهم بالأخذ في الحسبان طبيعة المتكلم والمخاطب والعلاقة بينهما والموقف الذي يحيط بالخطاب بكل ملابساته وظروفه وإن لم تنتظم هذه الرؤى المتناثرة في الدرس النحوي والبلاغي والأصولي في منهج نظري محكم ومتكامل، إلا أنها ظهرت كمبادئ وإرهاصات تؤكد ورود الفكرة في أذهانهم وحضورها في تحليلهم الفعلي للخطاب المستعمل.**

**"إن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلمًا، رؤية واتجاهًا أمريكيًا وأوروبيًّا، فقد وظّف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"[٥٩] وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح ذلك؛ إذا نظرنا إلى منهج سيبويه في تحليله للعربية، نرى أنه لم يكتف بالوصف الشكلي للتركيب اللغوي، لكنه ذهب إلى معرفة القصد وراء هذا التركيب، لتفسير ما فيه من**

---

[٥٧]– نور الدين محمد دنياجي: التفكير اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني (قراءة في اللغة ولغة الخطاب) ص ٦–٧.

[٥٨]– صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص ص٢١.

[٥٩]– محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي ص٣٠–٣١.

**حذف أو تقديم أو تأخير من جهة المتكلم مراعاة لحال المخاطب ومقتضيات الخطاب المقامية والأمثلة على ذلك في كتابه كثيرة منها: "أنك تقول: زيدًا لقيت أباه وعمرًا إن أردت أنك لقيت عمرًا والأب، وإن زعمت أنك لقيت أبا عمرو ولم تلقه رفعت. ومثل ذلك: زيدٌ لقيته وعمرو. إن شئت رفعت، وإن شئت قلت: زيد لقيته وعمرًا. وتقول أيضًا: زيدٌ ألقاه وعمرًا وعمرو. فهذا يقوى أنك بالخيار في الوجهين".(٦٠)**

**وقد عبر سيبويه عن قصد المتكلم بعبارات مختلفة مثل:**

- **فإن شئت. ٨١،٨٣/١**
- **لأنك إنما أردت. ٤٠/١**
- **قدمت، أخرت. ٤٢/١**
- **أي ذلك فعلت جاز. ٩١/١**
- **فإن عنيت... ٢٧٧/١**
- **فأنت بالخيار. ٢٧٨/١**

**وقد جعل ابن فارس قصد المتكلم هو المعنى في قوله: "فأما المعنى فهو القصد"(٦١)**

**ومما عبر به سيبويه عن علم المخاطب ما يلي:**

- **استغناءً بعلم المخاطب. ٧٤/١**
- **وأن المخاطب قد عرف أن الأول قد وقع. ٧٦/١**
- **استغناءً بإقباله عليك ٢٤٤/١**
- **لأنه قد عُلم أن المخاطب سيستدل به. ٢٥٣/١**
- **إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل ٢٥٣/١**
- **لعلم المخاطب أنه محمول على أمر... ٢٨٣/١**
- **لأنهم اكتفوا بعلم المخاطب. ٢٣٣/٢**

**ودلالة هذه العبارات وغيرها في كتاب سيبويه تبين اهتمامه الواضح ووعيه بأهمية دور المخاطب وحضوره في بناء الخطاب. كما أن كثيرًا من النصوص**

---

(٦٠) انظر سيبويه: الكتاب ٩١/١.

٦١ – أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي ص ١٩٢.

اللغوية في الكتاب توضح براعة سيبويه في تمثيل مسرح الحدث اللغوي والاستعانة بالحواس مثل الرؤية والسمع لاكتشاف العنصر المحذوف فيقول: "أو رأيت رجلاً يُسدد سهمًا قِبل القرطاس فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس" (٦٢)

ومن النصوص التي تؤكد يقظته واستحضاره للسياق ودوره في أمن اللبس من خلال تحليله للأمثلة التي تحتمل وجوهًا واحتمالات وكيف كان السياق هو القرينة التي تعين المعنى المقصود قوله: "ولو رأيت ناسًا ينظرون الهلال، وأنت منهم بعيد، فكبروا لقلت: الهلالَ ورب الكعبة، أى أبصروا الهلال. أو رأيت ضربًا فقلت على وجه التفاؤل: عبدَ الله، أي يقع بعبدِ الله أو بعبدِ الله يكون" (٦٣) مما يؤكد أن سيبويه لم يكتف في تحليلاته اللغوية بالوصف النحوي المحض للتركيب، وإنما ضم إلى جانب ذلك آليات تحليل أخرى من خارج اللغة، متمثلة في سياق الموقف الذي يُستعمل فيه، وجعله أحد المعايير التي تُسهم في تحليل اللغة وتوضيح الدلالة المقصودة، وقد عبر سيبويه عن الحال بعبارات مختلفة منها:

- ومنه أن ترى الرجل أو تُخبَر عنه أنه... ٢٥٨/١
- تركَ ذكر الفعل لما يرى من الحال. ٢٧١/١
- استغناءً بما يرون من الحال. ٢٧٥/١
- أنت في حال كذا. ٣٣٨/١
- إذا رأيت ذلك من الحال أو ظننتَه فيه. ٣٣٩/١

ورد في هذه العبارات وغيرها كلمات دالة على المنهج الذي اتبعه مثل: الرؤية والمشاهدة والسمع والحال، ويقول ابن السَرَّاج: "والمحذوفات في كلامهم كثيرة، والاختصار في كلام الفصحاء كثير موجود، إذا آنسوا بعلم المخاطب ما يعنون" (٦٤)

---

٦٢- سيبويه: الكتاب ٢٥٧/١.

٦٣-سيبويه: الكتاب ٢٥٧/١.

٦٤- ابن السّراج: الأصول في النحو ٣٤١/٢.

**وفى العربية بعض الأساليب التي تستخدم بالنظر إلى حال السامع مثل أسلوب التوكيد "وجدوى التوكيد أنك إذا كررت فقد قررت المؤكد وما علق به في نفس السامع ومكنته في قلبه وأمطت شبهة ربما خالجته أو توهمت غفلة أو ذهابًا عما أنت بصدده فأزلته...." [٦٥]**

**ومن الإشارات التي توضح موقف ابن جني كذلك، كلامه عن عدم جواز حذف تمييز العدد "وذلك قولك عندي عشرون، واشتريت ثلاثين، وملكت خمسة وأربعين: فإن لم يُعلم المراد لزم التمييز إذا قصد المتكلم الإبانة، فإن لم يُرد ذلك وأراد الإلغاز، وحذف جانب البيان، لم يُوجب على نفسه ذكر التمييز، وهذا إنما يصلحه ويفسده غرض المتكلم، وعليه مدار الكلام" [٦٦] فغرض المتكلم هنا هو المعيار في الحكم بصلاح التركيب أو فساده.**

**ومن عباراته التي توضح فهمه لأهمية الحضور والتفاعل بين طرفي الموقف اللغوي (المتكلم/ السامع) قوله: " فلو كان استماع الأذن مغنيًا عن مقابلة العين مجزئًا عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه .... وعلى ذلك قالوا: رُبَّ إشارة أبلغ من عبارة، وقال لي بعض مشايخنا – رحمه الله– أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة"[٦٧] وقد سبق ابن جني في ملاحظته تلك ما يُعرف في الدرس الحديث ب"Eye Contact" الاتصال البصري ودوره في تحسين التفاهم وإنجاز الغرض من التواصل.**

**ولأن الاعتبارات اللغوية تابعة لأحوال المخلوقين وعاداتهم وما يقتضيه ظاهر البنية وموضوع الجبلة، أوصى بشر بن المعتمر المتكلم أن: "يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا حتى يُقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات" [٦٨] وكذلك قول الجاحظ أنه ينبغي "إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم**

---

[٦٥]– الزمخشري: المفصل في علم العربية ص١١١.

[٦٦]– ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ٣٧٨/٢.

[٦٧]– ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ٢٤٧/١.

[٦٨]– عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٣٦٥، الجاحظ: البيان والتبيين١١/١–١٢.

**والحمل عليهم على أقدار منازلهم" [٦٩] ومن مراعاة ابن جني لحال المتكلم الدالة على قصده قوله: "الأحوال الشاهدة بالقصود، الحالفة على ما في النفوس"[٧٠] وقد عرَّفوا الحال أو المقام بأنه هو: "الذي يشمل مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات المحيطة بالنشاط اللغوي، وتؤثر فيه، بحيث لا تتجلى دلالة الكلام إلا في ظلها"[٧١]**

**والمتكلم مسؤول عن بناء خطابه بناءً متلائمًا مع حال المخاطب وظروف المقام، وأن عليه أن يوازن بين المعاني والمستمعين والمقام فينتج خطابًا يحقق به أغراضه ومقاصده، وهذا هو جوهر المنهج التداولي، ويزيد الجاحظ الأمر وضوحًا وتفصيلًا في قوله: "فالوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس....[ ٧٢] كما أنه يعقد موازنة بين المتكلم والسامع ودورهما في التواصل اللغوي في قوله: "إن المُفهِم لك والمفهم عنك شريكان في الفضل، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم، وكذلك المعلم والمتعلم، هكذا ظاهر هذه القضية"[٧٣].**

**ومن إشارات الجاحظ القوية التي توضح واجبات المتكلم تجاه المخاطب قوله: "أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة وذلك أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح قليل اللحظ متخير اللفظ لا يكلم سيد الأمَة بكلام الأمَة ولا الملوك بكلام السوقة....ولا يدقق المعاني كل التدقيق ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح....ولا يفعل ذلك حتى يُصادف حكيمًا أو فيلسوفًا عليمًا ومن قد تعود حذف فضول الكلام وإسقاط مشتركات الألفاظ ..." [٧٤]**

**وقد بلغ من عناية القدامى بتداول اللغة وجودة هذا التداول، أن خصص ابن قتيبة لذلك كتابًا اهتم فيه بالكاتب والمكتوب له والتواصل بينهما ومما جاء**

---

[٦٩]– الجاحظ : البيان والتبيين ٩٣/١.

[٧٠] – ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار ١١٧/١.

[٧١] – التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، وضع له الحواشي: أحمد حسن ثبج ٥٧٤/٣.

[٧٢]– الجاحظ: البيان والتبيين ١٤٤/١.

[٧٣]– السابق ١١/١–١٢.

[٧٤] – الجاحظ: البيان والتبيين ٦٤/١

فيه قوله: "تستحبُّ لهُ (أي الكاتب) أيضًا أن يُنَزّل ألفاظه في كتبه، فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه وأن لا يُعطى خسيس الناس رفيعَ الكلام ولا رفيعَ الناس وضيعَ الكلام"[٧٥]

كذلك ما ذهب إليه السكاكي في تمييزه بين ثلاثة أنواع من الكلام الخبري بحسب طبيعة الشخص الذي يُوجه إليه؛ الأول: الخبر الابتدائي وهو الذي تستغني فيه الجملة عن المؤكدات، والثاني: الخبر الطلبي: وهو الذي يستحسن فيه التقوية بإدخال اللام أو إنَّ، والثالث: الخبر الإنكاري لمن ينكر كلامك ويبالغ في الإنكار. "... فقولهم: عبد الله قائم، إخبار عن قيامه، وقولهم: إن عبد الله قائم، جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم، جواب عن إنكار منكر قيامه"[٧٦] فالأولى لشخص خالي الذهن، والثانية لشخص سائل أو متردد، والثالثة لشخص شاك أو منكر، مما يعنى أن سلوك المتلقي وموقفه هو المُحَدِّد لشكل الخطاب، فالتحليل هنا ذو صفة تداولية، لأن المتلقي هو الشخص المستهدف بالخطاب وهو الذي يفسره ويؤوله وفق حالته الذهنية والنفسية، والمتكلم ذلك ويراعيه في إنتاج الخطاب وصياغته.

كما فصَّل السكاكي القول في أنواع المقامات وتباين الخطابات تبعًا لذلك في قوله: " لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر يباين مقام الشكاية ومقام التهنئة يباين مقام التعزية،.... ، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار....، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر.[٧٧] فقد قسم المقامات عدة تقسيمات؛ تبعًا للموضوع الذي يتناوله الخطاب، ثم تبعًا لموقف الخطاب من حيث كونه ابتداءً أو رد على سائل أو منكر، ثم تبعًا لطبيعة المتلقي الذهنية من حيث الذكاء والغباء.

---

[٧٥] – ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ص١٤.

[٧٦]– السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور ص١٧٠-١٧١.

[٧٧]– السابق ص١٦٨.

أما ما ذهب إليه حازم القرطاجني من تقسيم "القوى" إلى ثلاثة أقسام: القوة الحافظة، والقوة المائزة، والقوة الصانعة [٧٨] فيوضح أنواع الكفاءات اللغوية التداولية لمستعمل اللغة وهي تتدرج من اللغة الذهنية أو الملكة أو القدرة العقلية "القوة الحافظة" إلى قدرة الإنسان على الفرز والتمييز والانتقاء مما يدور في ذهنه "القوة المائزة" وذلك وفقًا لمحددات السياق، إلى "القوة الصانعة" التي تظهر في الصياغة النهائية للخطاب كما تظهر فيه القوتان السابقتان، ومن خلال هذه القوى مجتمعة يتمكن المتكلم من إنتاج خطابه في صورته الأخيرة، والتي يتمكن بها من تحقيق أغراضه ومقاصده وهذه هي القدرة التداولية للمتكلم.

ولم يغفل الجاحظ الكلام عن استعمال اللغة بشكل عام وتأثيره في اختيار الألفاظ فيقول:"وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. والجاري على أفواه العامة غير ذلك لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال.... والعامة ربما استخفت أقل اللغتين وأضعفهما وتستعمل ما هو أقل في أصل اللغة استعمالا وتدع ما هو أظهر وأكثر ..."[٧٩] ومما ذكره من كلام بشر بن المعتمر عن شرف المعنى قوله: "وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من مقال"[٨٠] وهذه العبارة وحدها تتضمن أهم الأسس والمبادئ التي بُنيت عليها التداولية في الدرس الحديث، مثل: الصواب، وإحراز المنفعة، وموافقة الحال.

ولابن خلدون في تعريف اللغة: "أن اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادة الكلام"[٨١] كما أن له عبارة موجزة تضمنت الإشارة إلى أهمية المعنى والسياق والمتكلم والمخاطب وذلك قوله: "إذا حصلت الملكة التامة فتركيب الألفاظ

---

[٧٨]- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة ص ٤٢-٤٣.

[٧٩] - الجاحظ: البيان والتبيين ٢٦/١.

[٨٠] - السابق ١٣٦/١.

[٨١] - ابن خلدون: المقدمة ص ٥٦٥.

**المفردة للتعبير عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذٍ الغاية من إفادة مقصوده للسامع" [٨٢]**

**كذلك الحال في كتب أصول الفقه، فقد أولى علماء الأصول عنايتهم البالغة بقصد الخطاب وتحديد معناه "وقد أفردوا لذلك أبوابًا في كتبهم تناولوا فيها قصد الشارع، وقصد المُكَلّف، وقصد الخطاب في عمومه، فلمعرفة قصد الخطاب دخل كبير في توجيه الدلالة، ومحاولة تحديدها مهما اختلفت صورة اللفظ"[٨٣] كما أفاضوا في الكلام عن الإنشاء والخبر من خلال تناولهم للأمر والنهي في الأمور الشرعية، وتفريقهم بين الواجب والمحظور والمباح والمندوب والمكروه حيث تضمن ذلك تقسيمًا لكل الأفعال الإنشائية."..... وعُلم أيضًا دخول الإيجاب والندب في حد الأمر بخلاف صيغة افعل فإنها حقيقة في الإيجاب خاصة"[٨٤]**

**ويفرق الإسنوي بين الإنشاء والخبر من وجوه:**

**أحدها: أن الإنشاء لا يحتمل التصديق والتكذيب، بخلاف الخبر.**

**الثاني: أن الإنشاء لا يكون معناه إلا مقارنًا للفظ، بخلاف الخبر، فقد يتقدم وقد يتأخر.**

**الثالث: الإنشاء هو الكلام الذي ليس له متعلق خارجي يتعلق الحكم به بالمطابقة وعدم المطابقة، بخلاف الخبر.**

**الرابع: الإنشاء سبب لثبوت متعلقه، وأما الخبر فمُظهر له.[٨٥]**

**وقد قسم علماء الأصول الكلام إلى طلب وغير طلب (الإنشاء والإخبار)، والطلب عندهم مقدم على الخبر، والطلب يكون إيجابًا أو تحريمًا أو ندبًا أو كراهة بحسب كونه يقتضي الفعل أو يقتضي الترك.... أما غير الطلب فهو إما تخيير بين أمرين وفيه إباحة أو إخبار بأن هذا الأمر صحيح أو لا بسبب**

---

[٨٢]- السابق ص ١٠٧١.

[٨٣] – السيد أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين ص١١٣.

[٨٤] – الإسنوي(عبد الرحيم بن الحسن): التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو ص٢٦٥.

[٨٥] – جمال الدين الإسنوي: نهاية السول في شرح منهاج الأصول، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل ٢٩٨/١.

**المنع.[٨٦] والطلب ينقسم إلى خمسة معان لكل منها صيغته الخاصة، وهي الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، وكل واحدة من هذه الصيغ تخرج إلى معانٍ فرعية أخرى تُفهم من سياق الموقف الذي ترد فيه.**

**يذكر الآمدي تعليقًا على خلاف الشافعي وأبي حنيفة في مسألة ما إذا أوجب الصوم وحرَّم إيقاعه في يوم العيد: "... حيث إن اللغوي لا يفرق عند سماعه لقول القائل (حرمت) عليك الصوم في هذا اليوم مع كونه موجبًا لتحريم الصوم وبين قوله (حرمت) عليك إيقاع الصوم في هذا اليوم من جهة أنه لا معنى لإيقاع الصوم في اليوم سوى فعل الصوم في اليوم"[٨٧]**

**لذلك يرى بيار لارشي تعقيبًا على كلام الآمدي السابق أن: "تمثيل الأصوليين الأعمال الشرعية بصيغة (فعلت) الإنجازية وهي صيغة موضوعة للأفعال الإيقاعية في الفقه تعني الموازاة بين التأسيس للمعيار السلوكي أو الديني وخلق العقد، لقد أجرى بعض فلاسفة القانون الغربيين مثل هذه المقارنة،... وهي مقارنة تسمح بنعت أصول الفقه بأنها تداولية مطبقة على أقوال الشارع وبنعت الفقه بأنه تداولية مطبقة على أقوال المشرَّع له [أي المكلف]" [٨٨]**

**والأصوليون في تصنيفهم للأفعال يلتقون مع أوستن – في نظريته لأفعال الكلام– Act of speech أن الأفعال نوعان:**

- **الأفعال الإنشائية Performatifs وهي التي لا تدل على تصديق ولا تكذيب.**
- **الأفعال الخبرية Constatifs وهي التي تحتمل الوصف بالصدق أو الكذب.[٨٩]**

---

[٨٦] – ينظر الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي ١٣٩/١ومابعدها، الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري ص٦٥١.

[٨٧] – ينظر الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي ١٦٢/١.

[٨٨] – بيار لارشي: تداولية قبل التداولية هي تداولية قروسطية عربية إسلامية، ترجمة: عز الدين المجدوب ص٥١٠.

[٨٩] – أوستين : نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قينيني ص١٥ وما بعدها.

**وإذا كانت الأخبار تتمثل مهمتها في وصف الظواهر والمسارات أو حالة الأشياء في الكون، فإن لهذه الأقوال خاصية تتمثل في كونها يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، أما الأقوال الإنشائية، فهي توظف لإنجاز الفعل، لا لأن نقول شيئًا يوصف بأنه صادق أو كاذب.[٩٠]**

**كما فرَّق الإسنوي بين الأمر والخبر عن الأمر في قوله:" لفظ الأمر وما تصرف منه كأمرت زيدًا بكذا.... حقيقة في القول الدال بالوضع على طلب الفعل، وقد عُلم من التعبير بالقول أن الطلب بالإشارة والقرائن المفهمة لا يكون أمرًا حقيقة، واحترزنا بالوضع عن قول القائل أوجبت عليك أو أنا طالبه منك أو إن تركته عاقبتك فإنه خبر عن الأمر وليس بأمر"[٩١] وفي هذا الكلام توضيح وتقنين لصيغة الأمر وتفريق بينه وبين إخبار المتكلم عن الأمر.**

**وقد قسم الآمدي الخبر إلى صادق وكاذب، لأنه لا يخلو إما أن يكون مطابقًا للمخبر به أو غير مطابق فإن كان الأول فهو الصادق وإن كان الثاني فهو الكاذب"[٩٢] والحكم على الخبر بالصدق أو الكذب يأتي من علاقته بالواقع الذي يعبر عنه، فإذا طابق الواقع فهو صادق، أما إذا خالفه فهو كاذب، وهذا من تداولية اللغة وارتباطها الوثيق بالواقع الذي تعبر عنه، وقد أشار الكفوي إلى ذلك بقوله: "... الخبر كل كلام له خارج صدق أو كذب .... فإن وافق الخارج فالكلام صدق وإلا فهو كذب ولا واسطة بينهما وقال الراغب الصدق هو المطابقة الخارجية مع الاعتقاد لها..."[٩٣] فالمرجعية في صدق الخبر أو كذبه هي الواقع الخارجي الذي تمثله اللغة وتعبر عنه.**

---

[٩٠] – صابر الحباشة: لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية ص١٩٩.

[٩١] – الإسنوي: التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو ص٢٦٤.

[٩٢] – الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي١/١٦-١٧.

[٩٣] – الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري ص٦٥١.

**الخاتمة:**

**تناولت في هذا البحث أهم الأسس التي قام عليها المنهج التداولي وقسمتها إلى أربعة أقسام هي:**

- **التداولية في الدرس اللغوي الحديث (المصطلح والنشأة).**
- **أهمية المنهج التداولي في دراسة اللغة.**
- **الأطر العامة للمنهج التداولي.**
- **مبادئ الفكر التداولي وأصوله في التراث العربي.**

**وقد خلصت من بحث هذا الموضوع إلى النتائج الآتية:**

- **يهدف البحث إلى وضع الخاص(التراث) ضمن الإطار المعرفي العام (اللسانيات الحديثة)، ودراسته وفق ما استجد من نظريات في دراسة اللغة.**
- **إن ملاحظات علماء العربية القدماء الدقيقة وإن كانت إشارات متفرقة، فإنها تكشف عن منهج قويم في تحليل اللغة، باعتبارها ظاهرة اجتماعية نشطة ومتفاعلة مع مستعمليها (متكلمين ومخاطبين).**
- **إن فهم الخطاب وتحليل مقاصده ودلالاته في ضوء سياق استعماله، مُشار إليه ومعتبر في الدرس العربي القديم.**
- **كان علماء العربية القدماء على وعي تام بالوظيفة الاتصالية للغة، بدليل أنهم جعلوا المتكلم، والمخاطب، ودرجة التفاعل والعلاقة بينهما، والسياق، عناصر أساسية للموقف الاتصالي؛ وهي العناصر التي تتشكل في ضوئها الدلالة الكلية للخطاب، وبدونها لا يستقيم فهم اللغة فهمًا صحيحًا، ولا يحقق الموقف اللغوي أغراضه.**
- **مراعاة علمائنا القدماء للأغراض التداولية للمتكلم والمخاطب، مما يدل على أنهم أدركوا أهمية العلاقة بين اللغة ومستعمليها، بذلك يتفق منهج علماء العربية القدماء في تحليل اللغة مع ما انتهى إليه الدرس التداولي الحديث الذي وضع منهجًا يستوعب كل الآليات التي تؤثر في توجيه دلالة الخطاب وتحليلها تحليلاً لغويًا اجتماعيًا تكاملت فيه فروع المعرفة المختلفة مثل: الفلسفة، وعلم النفس، والاجتماع، والأنثروبولوجيا، والتاريخ، وغيرها.**

## المصادر والمـــراجـــع

### أولًا: المصادر والمراجع العربية:


١- الآمدي(علي بن محمد أبو الحسن): الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق: سيد الجميلي (دار الكتاب العربي- بيروت،١٤٠٤هـــ)

٢- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ (مكتبة الأنجلو- القاهرة، ١٩٩١م ط٦)

٣- أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تحقيق: مصطفى الشويمي (بيروت- لبنان،١٩٦٣م)

٤- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية (البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي ) (دار الأمان-الرباط، ١٩٩٥م)

٥- الإسنوي (عبد الرحيم بن الحسن): التمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تحقيق: محمد حسن هيتو(مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤٠هـــ)

٦- الإسنوي( جمال الدين): نهاية السول في شرح منهاج الأصول، تحقيق: شعبان محمد اسماعيل (دار ابن حزم- بيروت، ١٩٩٩م)

٧- تمام حسان: الأصول (دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب)(دار الثقافة-الدار البيضاء، ١٩٨١م)

٨- التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، وضع له الحواشي: أحمد حسن ثبج (دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ١٩٩١م)

٩- الجاحظ: البيان والتبيين، (دار الكتب العلمية-بيروت، د.ت)

١٠- ابن جني : الخصائص ، تحقيق: محمد علي النجار(دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان)

١١- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة (دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٩٨١م ط ٢)

١٢- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس (مشروع قراءة) (منشورات الجامعة التونسية- مجلد عدد ٢١،١٩٨١م)

١٣- ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد): المقدمة. (دار الكتاب اللبنانـــي- بيروت، ١٩٨٢م)

١٤- الزمخشري: المفصل في علم العربية (دار الجيل-بيروت، د.ت ط٢)
١٥- ابن السَّراج (محمد بن السرى): الأصول في النحو، تحقيق الدكتور/ عبد الحسين الفتلي(مؤسسة الرسالة- بيروت ،١٩٨٧م ط٢)
١٦- سعيد حسن بحيري: اتجاهات لغوية معاصرة في تحليل النص(مجلة علامات ج٣٨،مج١٠ ديسمبر ٢٠١٠م)
١٧- السكاكي(أبو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور(دار الكتب العلمية- لبنان- بيروت،١٩٧٨م ط٢)
١٨- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر):الكتاب، تحقيق/ عبد السلام هارون (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م)
١٩- السيد أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين (دار المعرفة الجامعية-الإسكندرية، ١٩٨١م)
٢٠- صابر الحباشة: لسانيات الخطاب: الأسلوبية والتلفظ والتداولية (دار الحوار - سورية، ٢٠١٠م)
٢١- صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص(عالم المعرفة- الكويت، العدد١٦٤، ١٩٩٢م)
٢٢- طه عبد الرحمن: البحث اللساني والسيميائي. الدلالات والتداوليات(أشكال وحدود) (كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة محمد الخامس- الرباط- المغرب،١٩٨٤م)
٢٣- عبد الجليل الأزدي: التواصل والتواصل السياسي (مجلة فكر ونقد- المغرب، عدد٣٦- ٢٠٠١م)
٢٤- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، تصحيح السيد محمد رشيد رضا(دار المعرفة- بيروت ،١٩٧٨م)
٢٥- عبد الهادي بن ظافر الشهري : استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية (دار الكتاب الجديد المتحدة- بيروت- لبنان،٢٠٠٤م)
٢٦- عثمان بن طالب: البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد على أمثلة عربية(الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية-تونس)
٢٧- علي آيت أوشان: السياق والنص الشعرى من البنية إلى القراءة (دار الثقافة-الدار البيضاء، ٢٠٠٠م)

٢٨- ابن قتيبة: أدب الكاتب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ( المكتبة التجارية – مصر، ١٩٦٣م ط٤)
٢٩- الكفوي(أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني): الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري (مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٩٨م)
٣٠- كمال بشر: علم اللغة الاجتماعي (دار غريب – القاهرة ، ١٩٩٧م )
٣١- محمد الحيرش: تداوليات التخاطب عند ميخائيل باختين (مجلة كلية الآداب بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، العدد-١٩٩٩،٩م)
٣٢- محمد سامي أنور: اتجاهات جديدة في دراسة المعني اللغوي (المجلة العربية للعلوم الإنسانية – الكويت- عدد ٢٢، المجلد السادس،١٩٨٦م)
٣٣- محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مجلة عالم الفكر- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب-الكويت، ٢٠٠٠م)
٣٤- محمد صلاح الدين الشريف: تقديم عام للاتجاه البراغماتي نُشر ضمن كتاب: أهم المدارس اللسانية(المعهد القومي لعلوم التربية- تونس، ١٩٨٦م)
٣٥- محمد عبد المطلب: البلاغة الأسلوبية(الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان-القاهرة، ١٩٩٤م)
٣٦- محمد عبد المطلب : البلاغة العربية. قراءة أخرى(الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان-القاهرة، ١٩٩٧م)
٣٧- محمد محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب (دار الكتاب الجديد المتحدة- لبنان،٢٠٠٤م)
٣٨- ابن منظور الأفريقي: لسان العرب (دار صادر – بيروت،١٩٩٠م)
٣٩- مهدى المخزومي: في النحو العربي: نقد وتوجيه (بيروت- لبنان، ١٩٦٤م)
٤٠- نهاد الموسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج الدرس اللغوي الحديث (دار البشير-الأردن، ١٩٨٧م ط٢)

٤١- نور الدين محمد دنياجي: التفكير اللغوي عند عبد القاهر الجرجاني ( قراءة في اللغة ولغة الخطاب) (منشورات مجموعة البحث في اللسان العربي(كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك- المغرب، ١٩٩٧م)

**ثانيًا: المراجع المترجمة والأجنبية:**

١- ارسطو طاليس: الخطابة، حققه وعلق عليه: بدوي عبد الرحمن(وكالة المطبوعات-الكويت،١٩٧٩م)

٢- أوستين : نظرية أفعال الكلام (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قينيني( أفريقيا الشرق، ١٩٩١م)

٣- بيار لارشي: تداولية قبل التداولية هي تداولية قروسطية عربية إسلامية ، ترجمة :عز الدين المجدوب ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، الجزء الأول(المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠١٢م)

٤- جيل فوكونياي: الفضاءات الذهنية، ترجمة: منصور الميغري: ضمن كتاب: إطلالات على النظريات اللسانية والدلالية في النصف الثاني من القرن العشرين، الجزء الأول (المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، ٢٠١٢م)

٥- خوسيه ماريا إيفانكوس : نظرية اللغة الأدبية: ترجمة حامد أبو أحمد(دار غريب- القاهرة،١٩٩٩م)

٦- روبنز د.هـ.: موجز تاريخ علم اللغة (فى الغرب)، ترجمة الدكتور/أحمد عوض (سلسلة عالم المعرفة-الكويت ، عدد نوفمبر ١٩٩٧م)

٧- ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر(دار غريب- القاهرة، ١٩٩٧م ط٢)

٨- فان دايك: النص والسياق (استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي) ترجمة: عبدالقادر قنيني(أفريقيا الشرق-الدار البيضاء، ٢٠٠٠م)

٩- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش (مركز الإنماء القومي- الرباط، ١٩٨٦م)

١٠- فولفجانج هانيه مان، ديترفيهفجر: مدخل إلى علم لغة النص، ترجمه وعلق عليه: سعيد حسن بحيري (مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ٢٠٠٤م)

١١- هيربيرت بركلي: مقدمة إلي علم الدلالة الألسني، ترجمة: قاسم المقداد(وزارة الثقافة- دمشق- سوريا، ١٩٩٠م)

12- B.J. Haslett :Communication strategic action in context(LEA, New Jersey,1987)
13- Brown ,Gillian: Speakers, Listeners and Communication: Explorations in Discourse analysis (Cambridge University press, 1997)
14- George yule: pragmatics, (Oxford university press, 1996)
15- Geoffrey, Leech: principles of pragmatics(Longman, London,1983)
16- Green, Georgia M. :The nature of Pragmatic information (University of Illinois- April 25,2000)
17- Jack Richard ,John Platt, Heidi Weber: Longman Dictionary of applied linguistics(Longman Group (EE)Ltd, England,1987)
18- Leech , G. : principles of pragmatics.(Longman,USA,1983)
19- Van Dijk, Teun A.: Discourse studies: Discourse as Social Interaction volume 2. (London-Sage, 1997)
20- Van Dijk, Teun A. : Discourse as Interaction in Society (Discourse studies-volume 2. London- sage, 1997)
21- van dijk, Teun,A.:Text and Context, Explorations in the semantics and Pragmatics of Discourse(Longman, London- New York.1980)
22- Wilson , Deirde: pragmatics modularity and mind-reading(University College-London)